الدرس (٠٢٢) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد وصلنا إلى باب المراقبة من هذا الكتاب المبارك كتاب رياض الصالحين لأبي زكريا النووي رحمه الله تعالى.

قال المصنف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٥- باب المراقبة

هذا بابٌ عظيم ومهمٌّ للغاية، ينبغي على كُلِّ مسلمٍ أن يعنى به عناية عظيمة.

والمراد بالمر اقبة: أن يراقب العبد ربَّه، وأن يعلم أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رقيبٌ عليه، ومُطَّلعٌ عليه، وكفى به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شهيدًا ورقيبًا، وعليمًا وحسيبًا .

وكُلَّما كان العبد مراقبًا في أعماله لربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ صلحت أحواله، وزانت أموره، وحسنت استقامته، وعظم إقباله على ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بخلاف ما إذا عدمت المراقبةُ، أو ضعفت، فإنَّ لهذا أثرَه السَّيِّءَ على العبد في أعماله وسلوكه.

وقد أورد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في أوَّل هذه التَّرجمة -كعادته- آياتٍ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فيها حثٌّ على المر اقبة:

قال المصنف رحمه الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشُّعراء:٢١٨-٢١٩].

في هذه الآية: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مع عباده المؤمنين في كل تقلُّباتهم، وفي جميع أحوالهم، وفي سجودهم وصلاتهم وعبادتهم ، وفي جميع شؤونهم، ، فهو يراهم، مُطَّلعٌ عليهم، يسمع

كلامهم، ويرى حركاتهم وسكناتهم، ويعلم ما تُكنُّ صدورهم، لا تخفى عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منهم خافية.

وإذا علم العبد أنَّ الله يراه في كُلِّ أحواله، حين يقوم، وفي تقلُّبه في السَّاجدين، يعمل على تزيين صلاته وتحسينها تقرُّبًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وطلبًا لثوابه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعلم العبد باطِّلاع الله عليه يجعله يجتهد في إصلاح العمل، وأن يعبد الله كأنَّه يرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا دواء نافع لآفات القلوب ولا سيما الرياءُ وغيرُه من قوادح إخلاص النية لله، فدواء هذه الآفات مراقبةُ الله وحده، روى ابن ماجه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»(١)، أي: أنَّه يُحسِّنها مراءةً للناس، ولو كان يراقب الله وحده ما راءاهم.

وروى ابن خزيمة عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ**»(٢).

والسَّلامة من هذه الآفة بمراقبة الله وحده ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

المعيَّة هنا في هذه الآية الكريمة: هي المعيَّة العامَّة، وهي معيَّة الاطِّلاع، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا تخفى عليه خافية، فهو مع العباد ومع النَّاس عمومًا أينما كانوا، مُطَّلِعٌ عليهم، يراهم، ويعلم

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسَّنه الألبانيُّ.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحة (٩٣٧)، وحسَّنه الألبانيُّ في صحيح التَّرغيب والتَّرهيب (٣١).

بأعمالهم وأحوالهم، ولا تخفى عليه منهم خافية، فإذا علم العبد أنَّ الله معه اطِّلاعًا ورؤيةً وعلمًا، فإنَّ هذا يثمر فيه مراقبةً لله في أعماله كلِّها.

ولهذا فإنَّ العبد يحتاج دومًا، أن يستشعر هذه المعيَّة، معيَّة الله بالاطِّلاع والعلم، وأنَّه جَلَّوَعَلَا لا تخفى عليه خافية.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران:٥].

وهذا فيه إثبات اطِّلاع الله على كُلِّ شيءٍ، وعلمه بكُلِّ شيءٍ، ورؤيته لكُلِّ شيءٍ، وأنَّه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السَّماء، فإذا استشعر العبد ذلك؛ أثمر فيه مراقبةً لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وهذه المرقبة كما أنها معينة على تكميل العبادة وإصلاحها ، فإنها كذلك معينة على الكف عن المعاصي والآثام .

قال الشَّيخ محمَّد الأمين الشَّنقيطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمع العلماء على أنَّه أكبر واعظ وأعظم زاجر نزل من السَّماء إلى الأرض... ولا تكاد تقلب ورقة واحدة من أوراق المصحف الكريم إلَّا وجدت فيها هذا الواعظ الأكبر والزَّاجر الأعظم ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، ﴿يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ [النَّحل: ١٩]، ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]. فينبغي علينا جميعًا أن نعتبر بهذا الزَّاجر الأكبر، والواعظ الأعظم، وأن لا ننساه لئلَّا نهلك أنفسنا»[٣].

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر:١٤].

---

(٣) العذب المنير من مجالس الشنقيطيِّ في التَّفسير (١/ ٣٩٢).

وهذه الآية الكريمة فيها أيضًا المعنى نفسُه، وهو: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ مُطَّلِعٌ على العباد، لا تخفى عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ منهم خافية، فقوله جَلَّوَعَلَا في هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾، أي: أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مُطَّلِعٌ عليكم، لا تخفى عليه منكم خافية، فهو يراكم، ويعلم بأعمالكم وأحوالكم وأقوالكم.

وفي هذه الآية كما ذكر علماء التَّفسير التَّهديد والوعيد للعصاة، فقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ أي: لمَن عصاه، يمهل –سبحانه وتعالى– ولا يهمل.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩].

أي: أنَّه عَزَّوَجَلَّ مُطَّلِعٌ على جميع أحوال العبد في حركاته وسكناته وجميع تصرفاته، وما يكون منه من لمحةٍ أو نظرةٍ أو إشارةٍ أو غير ذلك، وكذلك ما يكنُّه ويخفيه في صدره، فكُلُّ ذلك يعلمه ربُّ العالمين ومُطَّلِعٌ عليه، فإذا استشعر العبد ذلك، أنَّ الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصُّدور؛ اجتهد في إصلاح أعماله وأحواله وأفعاله وأقواله كلِّها، مراقبةً لربِّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قال المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ: (وَالآيات في البابِ كثيرة معلومة).

أي: إنَّه إنَّما اقتصر رحمه الله على ذكر بعض الآيات، وإلَّا فالآيات في هذا الباب كثيرة، بل إنَّك عندما تطالع القرآن، تجد آيات كثيرة في القرآن تختم بـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨]، ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٤]، ﴿بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات:١٨]، ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:١١٠]، ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٣]، ونحو ذلك كثير في القرآن؛ لأنَّ هذا الباب، باب المراقبة، واستشعار علم الله واطِّلاعه، بابٌ عظيمٌ للغاية في إصلاح القلوب، ونافعٌ للعبد في أعماله وأحواله كلِّها.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٦٠- (وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ، فَالْأَوَّلُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا

يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**». ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دينكُم**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٤).

ومعنى «**تَلِدُ الأَمَةُ رَبَّتَهَا**» أيْ سَيِّدَتَهَا؛ ومعناهُ: أنْ تَكْثُرَ السَّراري حَتَّى تَلِدَ الأَمَةُ السُّرِّيَّةُ بِنْتًا لِسَيِّدِهَا وبِنْتُ السَّيِّدِ في مَعنَى السَّيِّدِ وَقيلَ غَيْرُ ذلِكَ. وَ«**العَالَةُ**»: الفُقَراءُ. وقولُهُ: «**مَلِيًّا**» أَيْ زَمَنًا طَويلًا وَكانَ ذلِكَ ثَلاثًا).

أورد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذا الحديث العظيم المشهورَ بـ«حديث جبريل عليه السلام»؛ وذلك أنَّ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الرُّوحَ الأمين وهو أفضل الملائكة وهو الملك الَّذِي ينزل على النَّبِيِّ ﷺ بالوحي قد جاء إلى النَّبِيِّ ﷺ في هذه المرَّة بصورة رجل أعرابيّ فجلس إلى النَّبِيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذه الجلسة وسأله هذه الأسئلة، وإن كان هو في الواقع سائلًا لكنَّه في الحقيقة معلم ولهذا اشتُهر هذا الحديث بـ«حديث جبريل عليه السلام».

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ)؛ هذا في

---

(٤) رواه مسلم (٨).

زمانهم يعدُّ أمرًا في غاية الغرابة، أمَّا في زماننا فليس بمستغرب، ففي زماننا قد يأتي الرَّجل من أقصى الدُّنيا ولا يُرَى عليه أثر السَّفر، لا يُرَى عليه وهج الصَّحراء ولا لفح الرِّياح ولا حرارة الشَّمس ولا يُرَى عليه أثر التُّراب والغبار، لا يُرَى عليه شيء من ذلك، بينما في وقتهم المسافر يُعرف أنَّه مسافر؛ لأنَّ الغبار يعلو جسمه، والشَّمس أثَّرت فيه، ولفح الرِّياح كذلك.

قال: (حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ) أي جلس جلسةَ أدبٍ ووقارٍ واحترام بين يدي الرَّسول الكريم ﷺ.

(وَقالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، قَالَ: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**») فذكر مباني الإسلام الخمسة.

فقال السَّائل الَّذِي هو جبريل: (صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ!) وهذا أمرٌ عجيب؛ تعجَّبوا منه؛ يسأل ويصدِّق، والَّذِي يُصَدِّق هو الأعلم، ولهذا جاء في بعض الرِّوايات: «كأنَّه أعلم منه»، وتعجَّب الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من ذلك؛ لأنَّ هذا يدلُّ على علم عند هذا السَّائل، أمَّا مَن لا علم له لا يستطيع أن يقول مثل هذا.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قَالَ: صَدَقْتَ) وهذه أركان الإيمان السِّتَّة.

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**») ذكر هنا الإحسان وأنَّ له ركنًا واحدًا وهو: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

وهذا موضع الشَّاهد من هذا الحديث للتَّرجمة، ففيه ولا شكَّ الحثُّ على استحضار العبد لرؤية الله واطِّلاعه، وأنَّه مراقبٌ له، يعلم ما يخفي وما يعلن، وهذا يوجب الخشية والإنابة، والتَّعظيم لله، والخوف منه، ويوجب النُّصح أيضًا في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وتكميلها وتتميمها، ويثمر الثَّمرات العظيمة، إذا كان العبد في عبادته لله، وتقرُّبه إلى الله، يعبد الله كأنَّه يرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذه الأمور الثَّلاثة -الإسلام والإيمان والإحسان- هي ديننا؛ ولهذا ختم النَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الحديث بقوله: «فَإِنَّه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ».

(قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ) أي عن وقتها، وجاء في بعض الرِّوايات: (متى السَّاعة؟).

فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ) أي علم السَّاعة ليس عندي ولا عندك وإنَّما عند الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣]، فعلمها عند ربِّ العالمين، ولا يعلم متى قيامُها إلَّا ربُّ العالمين جَلَّ وَعَلَا.

قال: (قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا)، أي أخبرني عن علاماتها وأشراطها.

قال النَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا» **ربَّتها**: أي سيِّدتها، وهذا قيل في معناه أقوال عديدة منها: ما ذكره المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «ومعناه: أن تكثر السَّراري، حتَّى تلد الأمةُ السُّرِّيَّةُ بنتًا لسيِّدها، وبنتُ السيِّد في معنى السَّيِّد»، وقيل غير ذلك.

قال: «وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ» **الحفاة**: الَّذِين ليس عندهم نعال للفقر والعوز والحاجة، **والعراة**: الَّذِين ليس عندهم لباس، أو يكون عندهم لباس لا يكفي ولا يستر ولا يفي من شدَّة الفقر، والْعَالَةَ أي الفقير، رِعاءَ الشَّاءِ أي عند الواحد منهم قليل من الأغنام يرعاها ويقتات هو وأهله وولده منها، هذا الَّذِي يملك.

قال: «يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ» أي يتنافسون أيُّهم أطول بناءً من الآخر، هذا يبني أدوارًا وهذا يأتي بجنبه ويبني أعلى والآخر يبني أعلى، يتنافسون من الأطول والأرفع بناءً.

قال: (فَمَضَى) أي ذهب هذا الرَّجل الغريب.

(فَلَبِثْنا مَلِيا) أي بقينا زمنًا ووقتًا، وجاء في بعض الرِّوايات أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أمرهم بطلب الرَّجل بالبحث عنه فلم يجدوا له أثرًا.

قال: (فقال: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟) هل تدري من هذا الرَّجل الَّذِي جاء وجلس وسأل تلك السُّؤالات؟

(قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ») أي من حيثُ أصولُه وفروعُه، ومن حيث أيضًا طريقة تعلُّمه وما ينبغي أن يتحلَّى به مَن يتعلَّم الدِّين من آداب مباركة وأخلاق حميدة ومعاملات كريمة وأدب مع المعلِّمين، حتَّى يكون له حظٌّ ونصيبٌ من العلم، فالحديث تعليم للدِّين، وقد جُمع فيه الدِّين بمراتبه وذُكِرت أركانُ كلِّ مرتبة وبُيِّنت أحسن بيان؛ فهو حديثٌ مشتملٌ على بيان الدِّين، وهو من أجمع الأحاديث في بيانه، وينبغي على كلِّ مسلم أن يُعنى بهذا الحديث حفظًا ومذاكرةً وعملًا فهو حديثٌ عظيمٌ جامعٌ نافعٌ. يُسَمِّيه بعض العلماء: أمَّ السُّنَّة، نظير الفاتحة التي تُسَمَّى: أمَّ القرآن؛ لأنَّها جمعت إجمالًا ما حواه القرآن تفصيلًا، وحديث جبريل جمع إجمالًا ما حوته السُّنَّة تفصيلًا.

هذا ونسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علَّمنا، وأن يزيدينا علمـًا وتوفيقـًا، وأن يصلح لنا شأننا كله؛ إنه سميع قريب مجيب. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.